The Frankfurt School: A Study in the Thought of Horkheimer and Habermas

Lect. Nahawand Ali Al-Alawi (Ph.D)

nhawand.s@coart.uobaghdad.edu.iq

University of Baghdad /College of Arts/ Department of Philosophy

DOI: https://doi.org/10.31973/r84kdw75

Abstract

Critical theory developed by the pioneers of the Frankfurt School dates back to 1923 when the Institute for Social Research was founded in Frankfurt after World War I. The founders and members of the Institute sought to know and understand social life as well as to reveal the contradiction between the abundance of resources and the enormous scale of misery and misery, between technological capabilities and the widespread exploitation and destruction, between the supposed freedom of man and the prevailing authoritarian tendency, between free exchange and social injustice, between the free economy and monopoly, and between the world of Man and the world of capital, between the independence of art and its commodification and objectification, and between the supposed enlightenment and emancipatory role of the culture industry and its falsification of consciousness and suppression of difference. Thus, the members of the school were interested in the theoretical framing of new forms of state monopoly capitalism, cultural industry, authoritarian personality, and patterns of oppressive social control, within the framework of social criticism that aims for comprehensive radical change.

Keywords: critical theory, Franfcourt school,Habermas, Horkheimer, Marxism

مدرسة فرانكفورت: دراسة في فكر هوركهايمر وهابرماس

م.د نهاوند علي العلوي
مدرس دكتور في قسم الفلسفة/ كلية الآداب/ جامعة بغداد

(مُلَخَّصُ البَحث)

تعود النظرية النقدية التي طوّرها روّاد مدرسة فرانكفورت إلى عام ١٩٢٣ عندما تأسّس معهد البحث الاجتماعي في فرانكفورت بعد الحرب العالمية الأولى. وقد سعى مؤسّسو المعهد وأعضاؤه إلى معرفة الحياة الاجتماعية وفهمها، وكشف التناقض بين وفرة الموارد والحجم الهائل للبؤس والشقاء، وبين الإمكانات التكنولوجية والانتشار الواسع للاستغلال والدمار، وبين الحرية المفترضة للإنسان والنزعة السلطوية السائدة، وبين التبادل الحرّ والظلم الاجتماعي، وبين الاقتصاد الحرّ والاحتكار، وبين عالم الإنسان وعالم رأس المال، وبين استقلال الفنّ وتسليعه وتشييئه، وبين الدور التنويري والتحرُّري المفترض لصناعة الثقافة وتزييفها للوعي وقمعها للاختلاف. وهكذا اهتمّ أعضاء المدرسة بالتأطير النظري للأشكال الجديدة من رأسمالية الدولة الاحتكارية والصناعة الثقافية والشخصية التسلّطية وأنماط السيطرة الاجتماعية القمعية، وذلك في إطار النقد الاجتماعي الذي يهدف إلى التغيير الجذري الشامل.

الكلمات المفتاحية: النظرية النقدية، مدرسة فرانفكورت، الماركسية، هابرماس، هوركهايمر.

مقدمة:

تعود النظرية النقدية التي طوّرها روّاد مدرسة فرانكفورت إلى عام ١٩٢٣ عندما تأسّس معهد البحث الاجتماعي في فرانكفورت بعد الحرب العالمية الأولى. وقد سعى مؤسّسو المعهد وأعضاؤه إلى معرفة الحياة الاجتماعية وفهمها، وكشف التناقض بين وفرة الموارد والحجم الهائل للبؤس والشقاء، وبين الإمكانات التكنولوجية والانتشار الواسع للاستغلال والدمار، وبين الحرية المفترضة للإنسان والنزعة السلطوية السائدة، وبين التبادل الحرّ والظلم الاجتماعي، وبين الاقتصاد الحرّ والاحتكار، وبين عالم الإنسان وعالم رأس المال، وبين استقلال الفنّ وتسليعه وتشييئه، وبين الدور التنويري والتحرُّري المفترض لصناعة الثقافة وتزييفها للوعي وقمعها للاختلاف. وهكذا اهتمّ أعضاء المدرسة بالتأطير النظري للأشكال الجديدة من رأسمالية الدولة الاحتكارية والصناعة الثقافية والشخصية التسلّطية وأنماط السيطرة الاجتماعية القمعية، وذلك في إطار النقد الاجتماعي الذي يهدف إلى التغيير الجذري الشامل.

إشكالية البحث: تكمن مشكلة البحث في نقل النقد من العقل الى الحياة الاجتماعية وعدم قصر النظرية على الدولة وإنما شمول الانسان بذلك.

أهداف البحث: تكمن أهداف البحث في التعرف على نظرية النقدية عند هوركهايمر وهابرماس.

منهجية البحث: تم استعمال المنهج التاريخي والوصفي

المبحث الأول: ما النظرية النقدية

النظرية النقدية هي نظرية اجتماعية من النصف الأول من القرن العشرين مستوحاة من هيجل[١] وماركس[٢] وفرويد[٣] وممثليها (بشكل رئيس ماكس هوركهايمر[٤] وثيودور دبليو أدورنو[٥] وهربرت ماركوز[٦] وعالم النفس الاجتماعي إريك فروم[٧]) يستعملون أيضًا

---

[١] هيجل (١٧٧٠ – ١٨٣١م): واحد من الفلاسفة الكلاسيكيين الألمان، مثالي موضوعي. تولى كرسي الأستاذية في جامعة برلين عام ١٨١٨م، وأصبح مدافعًا بل مؤسسًا للفلسفة الرسمية لبروسيا الملكية. وتتضح ثنائية هيجل من كل كتاباته، بما فيها كتاب ((ظواهر الروح)) (١٨٠٧) الذي وصفه ماركس بأنه المصدر والسر الحقيقي للفلسفة الهيجلية، وفيه يدرس هيجل تطور الوعي الإنساني من علاماته الأولى حتى التطور الواعي للعلم ومنهج البحث العلمي. ومن أشهر مؤلفاته الأخرى: ((علم المنطق))، و((المبادئ العامة لفلسفة الحق))، و((محاضرات في تاريخ الفلسفة))، و((محاضرات في علم الجمال))، و((محاضرات في فلسفة التاريخ)). للمزيد ينظر: مجموعة مؤلفين، الموسوعة الفلسفية، إشراف م. روزنتال وب. يودين، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، ط٩، ٢٠١١، ص ٥٦٧-٥٨٦ .

[٢] ماركس (١٨١٨ – ١٨٨٣م): مؤسس الشيوعية العلمية والفلسفة المادية الجدلية والمادية التاريخية والاقتصاد السياسي العلمي، وزعيم ومعلم البروليتاريا العالمية. وفي بداياته كان متأثرًا بالفلسفة الهيجلية، ومن ثم اصطدم مع الهيجليين الشبان، واتجه إلى الفلسفة المادية، وأدت معرفته بالتطورات الاقتصادية الحقيقية وفلسفة فيورباخ الدور الحاسم في عملية تحوله. ومن أشهر مؤلفاته ((فلسفة الحقوق عند هيجل))، و((المخطوطات الاقتصادية والفلسفية))، و((العائلة المقدسة))، و((البيان الشيوعي))، و((الأيديولوجيا الألمانية))، و((بؤس الفلسفة)). للمزيد ينظر: مجموعة مؤلفين، الموسوعة الفلسفية، ص ٤٣٨-٤٣٩.

[٣] فرويد (١٨٥٦ – ١٩٣٩م): طبيب وأخصائي أمراض عصبية وطبيب أمراض عقلية نمساوي. درس فرويد أسباب العمليات العقلية المرضية ،ورفض بصورة قاطعة المحاولات المادية الفجة لتفسير التغيرات في الأفعال العقلية بأسباب فسيولوجية. وفي الوقت نفسه انحرف انحرافًا كاملًا عن النظرة المادية العامة للعالم، وأنكر المناهج الموضوعية لدراسة النشاط العقلي، ووضع نظرية ذاتية تعسفية. ومن أشهر مؤلفاته: ((موسى والتوحيد))، و((ما فوق مبدأ اللذة))، و((قلق في الحضارة))، و((تفسير الأحلام))، وغيرها. للمزيد ينظر: مجموعة مؤلفين، الموسوعة الفلسفية، ص ٣٣١.

[٤] هوركهايمر (١٨٩٥ – ١٩٧٣م): فيلسوف ألماني معاصر، ولد في شتوتغارت، وهو ابن صناعي يهودي، وتحول اهتمامه بداية نحو الأدب، فكتب الروايات، وأقام في بروكسل ولندن، ثم اتجه نحو علم النفس ومن بعدها الفلسفة ولاسيما في قراءته لشوبنهاور، و ناقش أطروحته عن كانط، وشارك في إنشاء معهد الأبحاث الاجتماعية، ورأسها في ما بعد. ومن أشهر مؤلفاته: ((بدايات فلسفة التاريخ البرجوازية))، و((جدل التنوير)) و((النظرية التقليدية والنظرية النقدية)) وغيرها. ينظر: بول لوران أسون، مدرسة فرانكفورت، ترجمة: سعاد حرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥، ص١٤-١٥.

[٥] إدورنو (١٩٠٣ – ١٩٦٦م): فيلسوف ألماني، ولد في فرانكفورت، وهو ينحدر من وسط موسيقي، توجه بسببه نحو الاهتمام بجمالية الموسيقى، كتب أطروحته عن كيركجارد في عام ١٩٣٨م، وأصبح عضوًا رسميًا في معهد الأبحاث عام ١٩٣٨م، تنقل من ألمانيا إلى فينا ولندن ومن ثم إلى الولايات المتحدة الأمريكية. ومن أشهر مؤلفاته: ((جدل التنوير))، و((نقد العقل))، و((فلسفة النفي))، و((موسيقى الليل: مقالات في الموسيقى))، وغيرها. ينظر: بول لوران أسون، مدرسة فرانكفورت، ص١٦-١٨.

مصطلح فرانكفورت تلخيص المدرسة. كان لممثلي النظرية النقدية مركزهم المؤسسي في معهد البحوث الاجتماعية وفي مجلة البحوث الاجتماعية أجهزتهم الصحفية. من مجال نشاط المؤلفين والمراجعين، كان الفيلسوف والمنظر الثقافي والتر بنيامين أهم مصدر إلهام للإنشاءات النظرية للمدرسة.

بادر معهد الأبحاث الاجتماعية التابع لجامعة فرانكفورت إلى التأسيس بفضل تمويل من رجل الأعمال فليكس فايل، وهو أكاديمي حاصل على الدكتوراه في العلوم السياسية. تمثلت مرحلة التأسيس كتتويج للحلقات الأسبوعية الماركسية، إذ كان فايل وجماعة من الماركسيين يسعون لإبراز فهمهم الحقيقي للماركسية. اتخذ هؤلاء الأكاديميين، بمن فيهم لوكاش[٨] وكورش[٩] وغرونبرغ، مسؤولية التعبير عن هذا المفهوم في الكتابة والفعل الثقافي. بدأت التحضيرات للمعهد في عام ١٩٢٢م، وتم تأسيسه رسميًا بقرار من وزارة التربية الألمانية في ٣ فبراير ١٩٢٣م، وافتتح رسميًا في عام ١٩٢٤م) المحمداوي١، ٢٠١٥م، ص٦٠).

---

[٦] ماركوز (١٨٩٨ – ١٩٧٩م): فيلسوف ألماني، ولد في برلين من عائلة يهودية، وشارك في الحزب الشيوعي الاشتراكي – الديمقراطي ومن ثم تركه، تعرف على هوسرل وهايدغر، وحصل على الدكتوراه عن أطروحته (رواية الفنانين)، اضطلع من هوركهايمر وأدورنو في إدارة المعهد، ومن الغريب أن شهرته قد حصل عليها حينما تراخت علاقته وانفصل عن مدرسة فرانكفورت. ومن أشهر مؤلفاته: ((العقل والثورة))، و((الإنسان ذو البعد الواحد))، و((الماركسية السوفياتية))، و((الحضارة والرغبة)). ينظر: بول لوران أسون، مدرسة فرانكفورت، ص ١٨-٢٠.

[٧] أريك فروم (١٩٠٠ – ١٩٨٠م): ولد في ألمانيا، حصل على البكالوريا بما فيها فصلان دراسيان في القانون. درس علم الاجتماع ،والنفس، والفلسفة في هايدلبرغ. وحصل على الدكتوراه على يد (الفريد فيبر) عن القانون اليهودي في علم الاجتماع. أصدر منشوراته الأولى بصفته تابعًا للتحليل الفرويدي الارثوذكسي. ومن أهم مؤلفاته: ((الخوف من الحرية))، و((التحليل النفسي والدين))، و((التحليل النفسي وبوذية الزن))، و((ما وراء الأوهام))، وغيرها. للمزيد ينظر: مجموعة مؤلفين، الفلسفة الغربية المعاصرة، ج٢، منشورات الضفاف، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، دار أوما، بغداد، ط١، ٢٠١٣، ص٧٧٩-٧٨٠.

[٨] لوكاش (١٨٨٥ – ١٩٧١م): فيلسوف وناقد ومفكر مجري، وهو ماركسي سياسي، كان له الأثر الكبير في الفكر الأوروبي الماركسي وغيرها، ولاسيما في النصف الأول من القرن العشرين. وكان لوكاش منذ صباه شغوفًا بالأدب وموهوبًا بالنقد ،وتعود أولى كتاباته إلى عام ١٩٠٢م، مما أسهم في الحياة الفكرية بكل حيوية. ومن أشهر مؤلفاته: ((تحطيم العقل))، و((الرواية التاريخية))، و((ماركسية أو وجودية))، و((بلزاك والواقعية الفرنسية))، وغيرها. وللمزيد ينظر: منتظر كريم، تحولات الخطاب السياسي الماركسي بين جورج لوكاتش سلافوي جيجك، دار قناديل، بغداد، ط١، ٢٠١٩، ص١٠٥-١٠٦.

[٩] كورش (١٨٨٦ – ١٩٦١م): فيلسوف ألماني. ينضوي تحت لواء التيار المسمى بـ ((الميتاماركسية الإنسانية النزعة)). وقد سلك كورش دروب الهجرة في إبان الدكتاتورية الهتلرية. ناقض كورش الأطروحات اللينينية مستشهدًا بنصوص ماركس الشاب. فالفلسفة الماركسية، في نظره، لا تتحقق إلا كنقد وصراع سياسي، وهو تنحط وتنحل لا محالة عندما تنزل نفسها منزلة العلم، وليس مطلوب من المنهج الجدلي أن يتحجر في صورة فلسفة دولة، حتى لو كانت مادية، فهذا المنهج هو في المقام الأول ممارسة تحويلية ونقد للعلوم منظورًا إليها بصفتها عناصر من ايديولوجيا واحدة كافة . ومن أشهر مؤلفاته: ((الماركسية والفلسفة))، و((عشر أطروحات حول ماركسية اليوم)). للمزيد ينظر: جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص ٥٣٢.

سعى ماركس هوركهايمر للاستفادة من التأثيرات اللوكاشية/ الكورشية المتبقية من ماركس' إذ إنَّه أصدر نصًا مهمًا للمعهد بعنوان ((النظرية التقليدية والنظرية النقدية)). حاول فيه تحديد معالم النظرية النقدية والتفريق بينها وبين النظرية التقليدية. ركز على فهم النقد بوصفه وسيلة للتحريض على التغيير الاجتماعي، مستندًا إلى النقد الماركسي، إذ تكون النقدية وسيلة لتوفير المعرفة بما يقف ضد قوى الظلم الاجتماعي التي يمكن أنْ يؤدي إلى التحرر أو على الأقل إظهار التناقضات في النظام. تبرز النظرية النقدية؛ لأنَّها تجعل عدم المساواة الاجتماعية واضحة، وتسعى لتغيير العالم وفقًا لتوجيه ماركس عبر عدم الاكتفاء بتفسير العالم وإنَّما العمل على تغييره (بومنير، ٢٠١٠، ص٢٥-٢٦).

تعد النظرية النقدية "من أهم الاتجاهات الفلسفية المعاصرة التي عملت على مساءلة المشروع الفلسفي التنويري الغربي ونقده ، نجد النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت التي ضمت مجموعة من المفكرين كان في طليعتهم كل من :ماكس هوركهايمر، وثيودور أدورنو، وهربرت ماركوز. لقد أخذ هؤلاء على عاتقهم متابعة المشروع النقدي الذي أرساه كانط ولكن من منظور جديد، يقوم على تجذير النقد، أي القيام بنقد جذري، وكامل للفكر والحضارة الغربيين، ولهذا مثّل كتاب جدل التنوير الذي كان ثمرة جهد مشترك بين هوركهايمر وأدورنو منعطفًا حاسمًا في تاريخ النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت" (Rush, 2004, p.9).

يستند محتوى فلسفة مدرسة فرانكفورت إلى مبادئ النظرية النقدية، وتعمل هذه المدرسة وسيطا بين الأزمة الفاعلة في التاريخ والأزمة الفاعلة في المفهوم، لضمان فهم الهيكل الفلسفي للمنطوق الاجتماعي – التاريخي، يجب التفاعل مع هذا ((الذي يجب التفكير به)) فلسفيًا. النواة المنطقية لهذا الأساس تظهر في توضيح المادة الاجتماعية – السياسية التي يمكن تحليلها بواسطتها، وتعد هذه النواة أساسًا للاستعمال النقدي. ينبع هذا الموقف من المثالية الألمانية ويمتلك لغة نقد خاصة به(آسون، ٢٠٠٥م، ص٢٩-٣٠).

يعد ر هوركهايمر أنَّ النظرية النقدية يجب أنْ تسعى إلى تحقيق متطلبات عملية، إذ لا يمكن الاستفادة من التجريد النظري من دون تأثير فاعل على الواقع العملي. وتشدد على أنَّ الغاية ليست فقط تحقيق فهم دقيق، وإنَّما تتجاوز ذلك إلى خلق ظروف اجتماعية وسياسية تسهم في تحسين حياة الإنسان وإنقاذه من الضياع في ظل الرأسمالية القمعية؛ لذلك، تتطلع النظرية النقدية إلى تحقيق المعيارية والتشخيص والعلاج، مساهمة بذلك في دفع المجتمع نحو التحرر والتحول نحو حياة أفضل، عبر خطوات تدريجية في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، مع تأكيد عدم الاقتصار على التنظير المنفصل عن التطبيق العملي.(James, 2005, p3-4.)

ما تسعى إليه النظرية النقدية هو أن تكون ديالكتيكية، وذلك ليس فقط لأنها تعكس تفاعلات الطبيعة التأملية للعقل، ولكن أيضًا لأسباب سياسية. يرتبط العقل والواقع بشكل أساس، ويشكلان وحدة متكاملة. تزعم النظرية النقدية أن خاصية التفاعل المستمرة للعقل، المعروفة باسم التعقل الديالكيتيكي، تعكس علاقتها المتناغمة مع الواقع الاجتماعي، الذي يمثل بدوره سيرورة ديالكتيكية. في هذه العلاقة يفترض أن يكون كل عنصر من العناصر مسبقًا متضادًا للعنصر الآخر، في حين يكون كل عنصر جزءًا لا يتجزأ من هويته. وهكذا يكون الاثنان عبارة عن وحدة متكاملة للتناقض. ترى النظرية النقدية وجود قوى متعددة في عالمنا الحديث في حالة تضاد وترابط متزامن، مثل :العلم والتكنولوجيا كمحررين أو مدمرين، والثقافة كونها منبهة أو مهدئة، والفن تقدمي أو رجعي، وغيرها. مهمة النظرية النقدية هي استكشاف هذه التناقضات الديالكتيكية وتحديد السبل التي يمكن أن تصبح فيها أكثر عقلانية (هاو، ٢٠١٠، ص٢١).

إذ إن من الأساس فهم التغيرات التي أحدثتها النظرية النقدية في المنهجية الاجتماعية. ومع هذا التغيير الحاسم، ينتقل كرسي الاجتماع إلى كلية الفلسفة، لكن يجب أن لا نفهم ذلك على أن المشروع الاجتماعي تحول إلى مشروع فلسفي من دون قيود، وإنما هو بالأساس مشروع اجتماعي يتخذ منهجًا جديدًا يتعلق هذا التأثير الأكبر للنظرية النقدية بتجاوز الفاصل بين الاجتماع والفلسفة الاجتماعية، ويؤثر بشكل كبير على الموضوعية الاجتماعية (آسون، ٢٠٠٥م، ص٥٨).

لم تكن النظرية النقدية للمجتمع محكومة بالعدم القابل للانتقاد نفسه ، إذ أعدها بعض الأفراد فلسفة مفتوحة نتيجة طابعها النقدي. وعلى الرغم من أنها عندما تكون مفتوحة قد تكون عرضة للانتقاد، إلا أن هذه الخاصية النقدية كانت جزءًا أساسيًا من طابع النظرية. ببساطة، كانت تسعى النظرية النقدية للمجتمع إلى أن لا تكون هيكلًا مغلقًا بأي حال من الأحوال، إنما كانت تتميز بفتحها للتقويم والتحليل المستمر (مهيبل، ٢٠٠١، ص١٠٢).

تشير مادية هوركهايمر إلى رغبة الإنسان الأساسية في السعادة، والتي لا تتطلب مزيدًا من التسويغ. من أجل تقديم الصلات في جميع تناقضاتها، استعمل هوركهايمر المفردات الفرويدية عندما وصف، في "حركة الأنا والحرية"، ١٩٣٣، تطورًا تاريخيًا اقتصاديًا، حتى في حركات الحرية التي تتعلق في البداية بالصالح العام، أظهر مرارًا وتكرارًا هياكل استبدال حالة السلطة التي كشفها آخر (بوزار، ٢٠١٦، ص٦٣).

إن أعضاء مدرسة فرانكفورت استكشفوا الطرائق التي تقلص فيها التفكير إلى مفاهيم آلية حول جوانب الحياة العملية والربح، إذ اندمج التأمل الأخلاقي في هذه السياقات وشهد تحولًا نحو الاستمتاع الجمالي الذي أصبح ذا طابع أكثر نمطية. لاحظ منظرو النظرية

النقدية تزايد الصعوبات في تفسير المجتمع الحديث، ومن ثم ركزوا على موضوعي الاغتراب والتشيؤ لتحليل كيفية تعرض ممارسات الذات للخطر ،وكيف قامت بتجريد العالم من المعنى والغاية محولة الفرد إلى وسيلة في إطار الآلة(برونر، ٢٠١٦، ص١٢).

المبحث الثاني: مفهوم العقل في النظرية النقدية

فهم المجتمع يعتمد مفهوم العقل، إذ ترتبط الأفكار بالحرية والعدالة والحقيقة. تقوم فلسفة البرجوازية على نظام عقلاني، يقوم هذا النظام، وفقًا لهوركهايمر، على فهم العقل كقابلية للحساب بدلًا من التركيز على الحرية. وبناءً على ذلك، يعد مفهوم العقل الأصلي منحرفًا ومستبعدًا عن معناه الفعلي، إذ فقد العقل القدرة على التمييز بين الوعي والتفكير المعنوي، حتى في الفلسفة. لم يعد العقل ينعكس في حدوده وإمكانيات المعرفة، بل هو عالق في هياكل تفرضها على نفسها. ويشير هوركهايمر إلى أن الميتافيزيقا العقلانية قد فقدت قوتها مع مرور الوقت،إذ أصبح الهدف الوحيد هو ((السلوك الهادف))، وتحقيق المطابقة المثلى بين الوسائل والغاية، مع التركيز على الفكر بوصفه وظيفة لتلبية احتياجات العمل (هاو، ٢٠١٠، ص١٤٢).

إن العقل هو العامل الذي منح الإنسان قدرة تحديد مصيره، ولا يعد من المستغرب أن يكون العقل قد تشابك بشكل وثيق مع مفهوم الحرية في سياق النظرية النقدية. فقد نظر النقاد إلى الحرية والعقل كونهما ترابطا ديالكتيكيا، إذ يفترض العقل وجود الحرية، فيعد العقل تجليًا للقدرة على التوجيه الذاتي نحو تقرير مسار الحياة الشخصية. ومن جهة أخرى، تفترض الحرية وجود العقل، إذ لا يمكن للإنسان أن يقرر مصير حياته بحرية إلا عبر تفعيل العقل واستعماله لاتخاذ القرارات الأمثل والأكثر انعتاقًا (هاو، ٢٠١٠، ص٢٤).

يتحول العقل البشري إلى أداة عن طريق التناقض المركزي الذي يظهر في تضارب العقل نفسه، في حين الطبيعة تسعى بشكل دوري إلى الانتقام من هذا الإخضاع، وهي حركة مزدوجة تتجلى في الرؤية السادية للعالم. ويسمح هذا التجذير النقدي بفرصة إعادة تفسير تلك الظواهر التي تم تحليلها سابقًا في السياق السياسي والأيديولوجي، بمعنى صناعة الثقافة ومقاومة السامية الحديثة (آسون، ٢٠٠٥م، ص١١٥).

عندما يستعمل الإنسان عقله أداة للتواصل مع العالم والطبيعة، يغوص في أساطير جديدة. يسعى العقل لفهم الطبيعة والسيطرة عليها، مما يجعله يدرك أن الأسطورة هي جزء منه، مثلما يظهر في علاقة العقل والأسطورة في أدويسا وهوميروس. هذا يعكس رحلة الإنسان من الماضي البعيد إلى الحاضر، إذ يقود العقل البحث في عمق تلك الملحمة للتغلب على قوى الظلام والتسلح بالمعرفة. وعلى الرغم من أن هيمنة الإنسان على الطبيعة

مهمة، يظهر الخوف بوصفه دافعا أكثر خطورة، إذ يستعمل العقل أداة تنويرية لمواجهة هذا الخوف والسيطرة على القوى الطبيعية(رشيد، ٢٠٢٣، ص٢٧٢-٢٧٣).

في تعريف للتنوير، يرتبط هوركهايمر بالقرن الثامن عشر، فيتجاوز القيود ،ويستمد من الأصول الميثولوجية الإغريقية. يفهم هوركهايمر التنوير على مر الزمن كتجسيد لفكرة التقدم، إذ يهدف إلى تحرير الإنسان من الخوف وتحقيق سيادته. يسعى برنامج التنوير إلى كسر قيود السحر والخيال، ويظهر بوصفه جهدا للتحرر من الأساطير بشكل عام، إذ يظهر التنوير كأفق إنساني مفتوح على سياق التاريخ، فضلًا عن تعزيزه لأهمية العقل واستهدافه لإزالة التفكير الأسطوري والتحرر من الرؤية الدينية، بهدف تأسيس سيادة الإنسان ورفض التقاليد) عبد النور شرقي وآخرون، ٢٠١٢، ص٦٥-٦٦).

يظهر موقف النظرية النقدية عبر دراسة (أرنست بلوخ[١٠]) حول عصر النهضة، وكتاب (جدل التنوير) الذي ألفه (أدرنو وهوركهايمر). يركز الكتاب على تقديم فلسفة غير تقليدية، ويغفل عن الاتجاهات النظرية في تاريخ الفكر ويولي اهتمامًا كبيرًا للبنية العامة للمجتمع وتأثيرها على العقل. يبحث الكتاب في مصائر العقلنة وإمكانيتها للتحرر، مع التركيز على مشكلاتها الكبيرة وتقديمها أمام محكمة العقل. يقترحون فكرة أن الأسطورة في زمانها كانت تعقل، وبالمثل، يتجه التعقل المعاصر أو التنوير نحو أن يصبح أسطورة جديدة (مهدي، ٢٠١٦، ص٢١٩).

علينا توجيه السؤال الآتي: كيف تحول التنوير، الذي كان في البداية تعبيرًا عن فكرة التقدم الإنساني وتحرير الإنسان، إلى أسطورة تخفي السيطرة أو الهيمنة؟ وبشكل آخر، كيف يمكن تفسير تدمير العقل التنويري لنفسه، مما أدى إلى دخول الإنسانية في حالة بربرية بدلًا من تحقيق حالة إنسانية حقيقية؟ هوركهايمر وأدورنو يجيبان بأن هذا حدث عندما تحول العقل إلى أداة للسيطرة أولًا على الطبيعة، ومن ثم على الإنسان. يشيرون إلى العقل الأداتي أو التقني، الذي يعتمد التكميم والقياس والفاعلية، ويتجه نحو الجانب العملي والتطبيقي والنفعي. تكون الفكرة الذهنية آلة رياضية تكرس العالم كإجراء خاص، إذ يتم خضوع كل حقيقة إلى الشكلانية المنطقية، ويتجه الفكر نحو الخالص عبر العدد كأداة للتجريد في المعطيات المباشر (بومنير، ٢٠١٠، ص١٣).

---

[١٠] أرنست بلوخ (١٨٨٥ – ١٩٧٧م): فيلسوف ومؤرخ ألماني، ولد في مدينة لودفيغشاين، ويعد أحد أهم المفكرين الماركسيين، وله مؤلفات عدة ثبتت موقفه النموذجي منها روح اليوتوبيا، ونشر الكثير من مؤلفاته، فهو يتخذ من نصوص ماركس مرجعًا له، وكانت نظرته للماركسية بأن الهدف النهائي للماركسية هو إلغاء كل أشكال الاستلاب وليس وضع نفسها منزلة التصور الكلي للعالم والثورة، ولا تتم فقط بموجب القوانين القدسية للمادية الجدلية، فهي بحاجة إلى روح مبدأ الرجاء. للمزيد ينظر: جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٦م، ص١٨٦.

أما من ناحية تأثير الفلسفة التجريبية (=الأمبريقية) على تطبيق النظرية عن طريق فإن: "تأثير المادة الأمبريقية على النظرية، ليس تطبيق النظرية على المادة الأمبريقية، عملية ملازمة للعلم فقط، بل عملية سوسيولوجية أيضًا. وفي نهاية المطاف فإن العلاقة بين الفرضيات ومعطيات الواقع لا تقوم في رأس العلماء بل في الصناعة. فالقوانين التي تجعل القطران الذي أخضع لتأثيرات كيماوية معينة، ينمي بعض الخاصيات اللونية، والتي تفيد أن النيتروغليسرين ملح البارود أو مواد أخرى ما زالت تملك قوة انفجار مرتفعة، هي عناصر علم متراكم يجد في معامل الصناعة الكبرى تطبيقه الفعلي على واقع الأمور" (هوركايمر، ١٩٩٠، ص١٥).

يرى ماركيوز أن الفلسفة التجريبية تشكل تهديدًا لاستئصال العقل في مفهومه العام، إذ تنفي إمكانية وجود ((الكليات)). وفي هذا السياق، تقوم الفلسفة التجريبية بطرد فكرة وجود حقائق عامة أو ((كلية)) تفترضها الحالة الإنسانية، معتبرة أنَّ الحقائق الراهنة لا تمثل سوى لحظة من تطورها، وإن الوضع الحالي يجب أن يتجدى هذا الافتراض. بالنسبة لها، إما أن يمكن رصد شيء ككل فعليًا، أو لا يمكن ذلك. وإذا لم يكن من الممكن رصد أي شيء على أنه كلي فعلًا، يتحول القول بإن العقل والحرية ((خيران كليان)) إلى مجرد فكرة غير قائمة ووعد لا يحقق (هاو، ٢٠١٠، ص٢٥).

يحرص لوكاش الحفاظ على طابع الذات الطبيعي للإنسان، ويشير في الوقت نفسه إلى أنَّ الفرد يجد نفسه مضطرًا لتجريد قوة عمله وتجسيدها كسلعة، ما يؤدي إلى تضارب بين ذاته والتشيؤ. ويركز على التشيؤ بوصفه مظهرا أساسا في هيمنة النظام الرأسمالي، من دون تجاهل قضايا الاستلاب وسرقة الأجر، مع التأكيد على إمكانية التحرر منها عبر الجانب الروحي الذي يبقى متأصلًا في الشخصية الإنسانية، على الرغم من تناقضها كسلعة (Habermas, 1985, p.367).

يرى هوركهايمر أن الوحدة المؤلفة التي تتسم بين العقل البشري وطبيعة الأشياء بطابع بطريكي، إذ يفترض أنها تسيطر على العقل الذي تغلب على الخرافة عن طريق الطبيعة الخالية من السحر. والمعرفة، كسلطة أيضًا، لا تعرف حدودًا سواء في استبعاد الخليقة أو في التأثير مع أسياد هذا العالم. تستعمل المعرفة في كل أغراض الاقتصاد البرجوازي، سواء في المصنع أو على أرض المعركة، لكنها في الوقت نفسه تشكل اداة للفاعلين، بغض النظر عن أصولهم. يهدف العلم ليس لاكتساب مفاهيم أو صور أو سعادة المعرفة، بل لإقامة منهج، واستغلال عمل الآخرين وتكوين رأس مال (هوركهايمر وأدورنو، ٢٠٠٦، ص٢٤)، إذ يجب على الفرد أن يخضع نفسه لمصالح المجتمع لأسباب معقولة، الأمر الذي يتطلب نبذًا طوعيًا للغرائز؛ ولذلك نرى هوركهايمر ينتقد استبعاد المحرومين من منافع الكل، مما يعني

أن نبذهم للغرائز ليس لمصلحتهم، ولكن فقط لصالح مجتمع لا يملكون شيئًا منه. يمكن للمواطنين إنشاء حضارة عقلانية لأنفسهم، وتحقيق مصلحتهم الذاتية، ولكن بسبب الانقسام الطبقي، فإننا لا نتعامل مع الهياكل التي تعكس مصالح الجماهير.

المبحث الثالث: ماكس هوركهايمر: النظرية التقليدية والنقدية

بعد غرونبرغ تولى ماكس هوركهايمر إدارة المعهد عام ١٩٣٠م، إذ سعى لاستثمار الفكر اللوكاشي/ الكورشي المتبقي من مبادئ ماركس، مركزًا على الجوانب الحية والقادرة على النقد والإصلاح والتحرر. بدأ في تقديم أفكاره عبر نصه ((النظرية التقليدية والنظرية النقدية))، إذ حاول تحديد خصائص النظرية النقدية وتباينها عن التقليدية. اكد على أنَّ النظرية النقدية لا تقتصر على الوصف، بل تعد وسيلة لتحفيز التغيير الاجتماعي بتوفير المعرفة مقابل قوى الظلم الاجتماعي. ورأى أنَّ النقد يقدم فحصًا للواقع السياسي الحالي باعتماد النقد الماركسي، بهدف تحقيق التحرر أو على الأقل إظهار التناقضات والتفاوتات داخل النظام (المحمداوي١، ٢٠١٥م، ص٦٤).

يرى هوركهايمر "أن التصور التقليدي للنظرية مستمد تجريديًا من النشاط العلمي، كما ينجز على مستوى محدد في إطار تقسيم العمل. فهو يوافق نشاط العالم بالذات – الذي يمارس بموازاة جميع الأنشطة الأخرى التي تتضمنها الحياة الاجتماعية من دون أن تظهر العلاقة العضوية بين مختلف أشكال النشاط بجلاء؛ لذلك فإن هذا التصور لا يبرز وظيفة العلم الحقيقة في المجتمع، ولا دلالة النظرية في حياة البشر، ولكن فقط معناها في الدائرة المنعزلة التي انتجت فيها بظروف محددة تاريخيًا، لكن حياة المجتمع في الواقع محصلة للعمل الذي تقدمه شتى قطاعات الإنتاج، حتى لو كان تقسيم العمل في نمط الإنتاج الرأسمالي يسير سيرًا رديئًا، فإنه لا يمكننا، بناء على ذلك، عد هذه القطاعات قائمة بذاتها، مستقلة" (هوركايمر، ١٩٩٠، ص١٧).

بناء النظرية هو مثال لإيجاد الانتظام في المجالات الفردية. فكلما كانت العقيدة أكثر عمومية، كان هوركهايمر يرى أن تفسير ضرورة وقوع حدث تاريخي يمكن بالنسبة لنا نحن النشطين أن يشكل وسيلة لتفسير التاريخ، ومع ذلك، يظل التاريخ نفسه غير مجهز بعقلانية أو جوهر، ولا يتمتع بروح، ولا قوة. إنما يمثل تلخيصًا مفهومًا للأحداث الناتجة عن تطور حياة الناس الاجتماعية (هوركهايمر، د.ت، ص ٦٢).

يؤدي التاريخ دورًا حاسمًا في صياغة الحقيقة واستحضار النقد، إذ يضمن ويحافظ على ديمومته. وفقًا لهوركهايمر، تقدم النظرية النقدية تفسيرًا يرى في التاريخ الأفق المطلق الذي يتعين قياس العلوم الطبيعية على أساسه. تظهر هذه الفجوة كونها أمرا ذا أهمية بالغة، إذ تفهم النظرية النقدية التاريخ بالطريقة نفسها التي تدرك بها النظرية الكلاسيكية. وتتفق

النظرية النقدية مع فلسفة التاريخ في تشخيصها النقدي للواقع التاريخي الفعلي، فيكون نفي الحاضر التاريخي الحاسم ما يتعين القيام به. وعلى الرغم من أن النظرية النقدية تعد الحاضر التاريخي هو العمومية التي تضع كل شيء في سياقه، إلا أنها تسعى إلى فهم العملية الزمنية كعمومية، مما يسوغ تصنيفها كفلسفة بدلًا من مجرد تخصص علمي. وهكذا يقوم هوركهايمر بانتقاد شموليات النظرية التقليدية وطابعها التاريخي(المحمداوي١، ٢٠١٥م، ص٦٥-٦٦). إن تفكير المثقف هو جزء من تطور الجماهير. عند القيام بذلك، يجب ألا يمثل مفكر النظرية النقدية أفكار الطبقة، ولكن يجب أن يسعى جاهداً من أجل العملية التاريخية للتحرر، أي دائمًا يوجه انتباهه النقدي إلى الوضع الراهن في محاولة لتحسين الظروف. وفقًا لهوركهايمر، يُقاس أداء المنظر بمدى حديث الناس وتصرفهم وفقًا لنظريته. الهدف من هذا المنظر هو مجتمع بلا ظلم. وبذلك، يمكن أن يجد نفسه جزئيًا في معارضة وجهات النظر البروليتارية.

مع ذلك، يتغير دور التجربة في النظرية النقدية بشكل يختلف عن التقليدية. النظرية النقدية تستمد وجهات نظرها من التحليل التاريخي وتقترحها كأهداف للنشاط البشري، بدءًا من فكرة تنظيم اجتماعي متناغم مع العقل ومصالح الجماعة. تعد هذه الوجهات الفلسفية جزءًا من العمل البشري، لكنها لا تظهر بشكل واضح في الوعي الفردي والجماعي. يشير المنظرون مثل ماركس وأنجلز[١١] إلى أن هذه الوجهات يمكن استعمالها واستنباطها من التجربة الفعلية وبدافع مصالح محددة، مع التأكيد على أن هذه المصالح تنشأ داخل البروليتاريا. ويظهر أن البروليتاريا، من خلال تجربتها، تكتشف أن العمل لا يعزز قوتها للتصدي للطبيعة فقط، ولكن أيضًا يساهم في دعم نظام اجتماعي معين. يشير النظام الحالي، بما في ذلك البطالة والأزمات الاقتصادية والعسكرية والإرهاب، إلى عدم تكيف شروط الإنتاج مع الواقع الحالي إذا لم يكن بإمكاننا استغلال الوسائل التقنية والفكرية بشكل كامل، فإن ذلك يشير إلى تكريسها لمصالح خاصة ومتناقضة في النظام الحالي. الإنتاج لم يعد منظمًا لصالح الجماعة ليلبي المطالب الفردية وإنما يخدم تطلعات بعض الأفراد إلى السلطة (هوركايمر، ١٩٩٠، ص٣٦-٣٧).

---

[١١] انجلز (١٨٢٠ – ١٨٩٥م): زعيم البروليتاريا الذي خلق مع ماركس المذهب الماركسي، أي النظرية الشيوعية العلمية، النظرية المادية الجدلية والتاريخية. وقد سعى انجلز منذ شبابه للمساهمة في الكفاح من أجل تبديل العلاقات الاجتماعية القائمة. وقد أدى انجلز منذ خريف عام ١٨٤١م مدة تجنيده العسكري في برلين، وحضر المحاضرات بجامعة برلين في وقت فراغه، ثم انضم إلى الجناح اليساري من الهيجليين الشبان. ومن أهم مؤلفاته: ((العائلة المقدسة))، و((الأيديولوجيا الألمانية))، و((الحرب الفلاحية في ألمانيا))، و((الثورة والثورة المضادة في ألمانيا))، و((أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة)). وللمزيد ينظر، مجموعة مؤلفين، الموسوعة الفلسفية، ص ٥٦-٥٧.

يرى هوركهايمر "أن كلية العالم المحسوس، كما هي معطاة بالنسبة للفرد الذي يعيش في المجتمع البرجوازي وكما يؤولها في حدود التصور التقليدي للعالم الذي يقيم معه هذا المجتمع علاقات تحديد متبادل، تعتبرها الذات التي تفكر فيها بمثابة أعلى درجة للواقع المعطى الذي يتعين تقبله كما هو. فالنشاط الادماجي للفكر الفردي يشكل جزءًا من ردود الفعل الاجتماعي التي تنزع نحو تكييف مطابق أدق مطابقة ممكنة للحاجات القائمة، لكن يوجد بصدد هذه النقطة فرق جوهري بين الفرد والمجتمع" (هوركايمر، ١٩٩٠، ص٢٠).

حدد هوركهايمر الفرق بين النظرية التقليدية والنظرية النقدية بوضوح. في حين تسعى النظرية التقليدية لفرض تفسيراتها الشاملة على الوقائع بالاستناد إلى منطقها الداخلي، تسعى النظرية النقدية لإنشاء تفسيراتها الشاملة استنادًا إلى التفاصيل الجزئية. هذا يشكل ثورة راديكالية على النظرية التقليدية وتصورها المنطقي، إذ يتحكم التصور القبلي في بناء النظرية وتوجيه تطبيقها، بدلًا من أن يسبق المضمون الاجتماعي الواقعي الذي ينبغي أن يتصدر شكل النظرية ومحتواها . النظرية النقدية تتسم بالنقد الاجتماعي وتر الأفراد المنتجين لكلياتهم كموضوع لها، إذ يعدون مشاركين في خلق تاريخهم بشكل موضوعي (زيغمي وآخرون، ٢٠١٣، ص٦٠٩-٦١٠).

إن الأفراد الذي يتبنون الموقف النقدي في كليتهم يدركون التناقضات في التنظيم الاجتماعي الحالي. يرون أن هذا التنظيم، الذي يستند إلى النظام الاقتصادي والثقافة، يشكل عالمًا يتفق معهم ويعدون الكلية مركزًا فكريًا خاصًا بهم. يفهمون أن العلاقات الاجتماعية تشبه العمليات الطبيعية، ويعزون ذلك إلى النقص في إرادة ووعي الأنظمة الحضارية المبنية على الصراع والقهر. ومن ثم، يرى هؤلاء الأفراد أن التماهي مع هذا التنظيم متناقض، والتناقض يميز فهمهم النقدي (هوركايمر، ١٩٩٠، ص٣٠).

المبحث الرابع: هابرماس ومشروعه السياسي

يعبر هابرماس[١٢] عن الفضاء العمومي كالمجالات التي تسهل تبادل الأفكار والآراء وتفاعلها لتشكيل الإرادة العامة أو ما يعرف أيضًا بالرأي العمومي. يفهم الفضاء العمومي على أنه جزء من حياتنا الاجتماعية، إذ ينشأ ما يشبه الرأي العام. يتاح الوصول إلى هذا المجال بشكل متاح ومضمون لجميع المواطنين. تبرز لحظة الفضاء العمومي في كل نقاش بين أفراد يتعاملون ككيان عام حول قضايا تهمهم. في هذا السياق، يظهر المواطنون ككيان

[١٢] هابرماس (١٩٢٩ - ...): فيلسوف وعالم اجتماع ألماني. يعد من أهم ممثلي مدرسة فرانكفورت وخير منطقي بينهم. درَّس الفلسفة وعلم الاجتماع في جامعتي هايدلبرغ وفرانكفورت. أراد مع سائر فلاسفة المدرسة أن يستأنف مشروع ماركس في نقد المجتمع وأشكال الاستلاب الحديث، وفهم الماركسية على أنها نظرية نقدية كبرى، بشرط أن تكون جدلية. ومن أهم مؤلفاته: ((النظرية والممارسة))، و((الخطاب الفلسفي للحداثة))، و((البنية السلوكية للحياة العامة))، وغيرها. جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص ٦٨٧.

عام فقد عندما يخوضون في قضايا تتعلق بالمصلحة العامة من دون أية قيود، إذ تكون حريتهم في التجمع والمشاركة والتعبير ونشر الآراء متاحة ومضمونة (الحداد وآخرون، ٢٠١٤، ص٢٨٢-٢٨٣).

يميز هابرماس بين إطار الحوار وجوهره، فيركز على الفارق بين المسائل المثيرة للجدل والهيكل القانوني المستعمل لتسوية تلك الخلافات. على الرغم من عدم إمكانية تحقيق الاتفاق فيما يتعلق بالعقائد والآراء الشخصية والتصورات الأخلاقية، يشدد على إمكانية الوصول إلى حد أدنى من التوافق. يؤكد أن تحقيق هذا التوافق الأدنى يتوقف على وجود مؤسسات قانونية تضمن تحقيق الأهداف الأساسية. لا تعد إقامة مثل هذه المؤسسات حلمًا مستحيلًا، إذ يشير إلى نشوء مؤسسات أوروبية بعد الحرب العالمية الثانية، مثل المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان ،واتفاقية حقوق الإنسان الأوروبية، على الرغم من عدم وجود منظومة تنفيذية أوروبية موحدة، وعلى الرغم من ذلك، تم الالتزام بقرارات هذه المؤسسات من الدول الأعضاء من دون وجود هيكل سياسي موحد في أوروبا (بناني وآخرون، ٢٠١٣، ص١٦٧-١٦٨).

يشمل المجال العام في الأساس حياتنا الاجتماعية، إذ يتجلى رأي الجمهور تدريجيًا ويصبح متاحًا لجميع المواطنين. يتجلى جزء من المجال العام في المحادثات اليومية حيث يتجمع أفراد خاصين لتشكيل كيان عام، من دون أن يتصرفوا كرجال أعمال أو محترفين في مجال العلاقات الشخصية. في سياق التفاعل العام، يمكن للمواطنين التحاور بحرية غير مقيدة مع حرية التجمع والتعبير عن آرائهم العامة بشأن قضايا عامة. ومع ذلك، يتطلب هذا النوع من التواصل في كيان عام واسع وسائل محدودة لنشر المعلومات والتأثير على الآخرين. تتناول وسائل الإعلام مثل :الصحف ،والمجلات، والراديو، والتلفاز دورًا مهمًا كوسائل للمجال العام. ومن ثم، يمكننا التحدث عن المجال العام السياسي الذي يدير النقاش حول الأنشطة المتعلقة بالدولة (Habermas & Lennox, 1974, p.49)

على الرغم من أن سلطة الدولة تمثل المنفذ للمجال العام السياسي، إلا أنها ليست جزءًا من ذلك المجال. تتخذ الدولة الإجراءات كونها رعاية لرفاهية المواطنين، ولكن فقط عندما تكون ممارسة السيطرة السياسية تتبع لطلب ديمقراطي، تصبح المعلومات متاحة للجمهور، ويحصل المجال العام السياسي على تأثير مؤسساتي على الحكومة (Habermas & Lennox, 1974, p.50).

لا يشكك هابرماس في إمكان إنشاء مجال عمومي كوني. إلا أنه يشكك في إمكان قيام تضامن كوني على أسس المواطنة العالمية. يرجع السبب في ذلك إلى تنامي الشعور بالخصوصية الثقافية وإلى الإحساس بالانتماء إلى جماعات محددة بناء على آصرة الدم

واللغة والدين. ينبني المنظور الجماعاتي على ضرورة الدفاع السياسي عن رابطة الانتماء في مختلف تجلياتها، معتبرًا أن الانتماء إلى الجماعة كان دومًا واقعًا تاريخيًا متحققًا في مقابل الاستقلال الذاتي الذي ظهر نتيجة عصر الأنوار. ولذلك، يرفض التصور الجماعاتي التضحية بالسيادة الوطنية من أجل المواطنة العالمية. ويشير هابرماس إلى أن هذا التوجس مشروع، ولاسيما في غياب ثقافة سياسة مشتركة بين الأمم، كما يستبعد استعداد الأفراد لتفضيل الولاء للدولة العالمية بدل الولاء إلى الدولة القطرية أو الولاء لأوروبا بدل الولاء لبدلانهم (بناني وآخرون، ٢٠١٣، ص ١٦٧-١٧٤).

ويرى هابرماس أنه ليس هناك دليل يشير إلى أن المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى كان يتمتع بمجال عام يُفهم على أنه كان مستقلًا عن المجال الخاص. على الرغم من ذلك، كان هناك تداخل، إذ كان الختم الملكي جزءًا من هذا التمثيل، فضلًا عن دور السيد الإقطاعي الذي يظهر كممثل يتمتع بسمة ممنحة من السلطة العليا. استبقي على هذا التمثيل في تاريخ الدستور لمدة طويلة. وعلى الرغم من التغيرات التي حدثت، فإن سلطة القوة السياسية ما زالت تحتاج إلى التمثيل بوجود رئيس للدولة حتى اليوم. تعود هذه العناصر إلى التكوين الاجتماعي القبل البرجوازي. الفارق الرئيس في عملية التمثيل، الذي يمثل الفارق بين المجال العام قبل ظهور البرجوازية الاجتماعية وبعدها ، هو أنه قبل البرجوازية، كان التمثيل يظهر السلطة العليا أمام الناس في حين بعد البرجوازية أصبح التمثيل يظهر الناس أمام السلطة العليا .(Habermas & Lennox, 1974, p.55)

في القرن الثامن عشر، تفكك النظام الإقطاعي إلى عناصر خاصة وعامة، بما في ذلك الكنيسة التي كانت تمثل سلطة ألوهية. وعلى هذا الأساس، حدث فصل بين الدولة والمؤسسات الفعلية والاجتماعية. أظهرت المؤسسات العامة، بما في ذلك البيروقراطية والجيش والمؤسسة التشريعية استقلالها عن المجال الخاص الذي يتمثل في البلاط الحاكم (Habermas & Lennox, 1974, p.55).

يرى هابرماس بأنه قد نقل نظريًا مفهوم المجال العام من تفضيل النخب والخواص الذي كان يتبناه كانط في رؤيته للمجتمع الحديث والمجال العام به إلى فهم نوع من العمومية ينطوي على مشاركة جميع الأفراد في التفاعل السياسي عبر النقاش والحوار وتكوين الرأي العام. وفي الواقع، يتطلب هذا الأمر نوعًا من الحوار المباشر أو التمثيلي، وفي الحالتين يشير إلى ضرورة تفادي النخبوية التي يعدها هابرماس عائقًا لتحقيق تفاعل حقيقي ونقاش شامل بين أفراد المجتمع المهتمين بالشأن العام في الساحة السياسية (المحمداوي٢، ٢٠١٥، ص٢٧٥).

يعد هابرماس أن الحقوق الليبرالية التي نشأت تاريخيًا بناءً على دور المالك في المجتمع، يمكن فهمها عبر منظور وظيفي، إذ تصور كأساس لنظام اقتصادي يستجيب للسوق. تضمن هذه الحقوق الحريات الفردية وفقًا لمعايير معينة، وتعبر عن الحقوق الاجتماعية وفقًا لمنظور وظيفي كتكوين لبيروقراطيات دولة الرفاه. وبالمقابل، تمنح هذه الحقوق المطالب التعويضية وتعامل مع المشاركة العادلة في الثروة الاجتماعية وفقًا للمعايير المعيارية. يمكن عد الحريات الفردية والضمانات الاجتماعية أساسا للاستقلال المجتمعي، فيمكن بدورها مراقبة فعالة للحقوق السياسية (هابرماس، ٢٠٠٢، ص١٩٧).

إذ تعد حقوق المشاركة السياسية الجوهر الأساس الذي يرتبط بكون المواطن، إذ يكون الفرد الذي يسعى ويطالب بحقوقه القدرة على تشكيل النظام السياسي واتخاذ قرارات حرة بشكل مباشر. هذا يتحقق عبر القدرة على المشاركة في نقاشات حول هذه الحقوق، وضمان دعمها قانونيًا. بالمقابل، يشير هابرماس إلى الدور ((الأبوي)) الذي تقوم به الدولة، إذ تكون حقوق الحريات لا تمنح شيئًا بذاتها، ويكون دورها سلبيًا، إذ يفترض أن يحترم الدولة حقوق الإنسان الممنوحة مسبقًا. بالنسبة للحقوق الاجتماعية، تظهر سيطرة الدولة بشكل واضح في تركيز جهودها بمجالات التأمين والتعليم والصحة، وتصبح كأنها دولة خدمة وتحقيق مطالب اجتماعية. ومع ذلك، يؤكد هابرماس أن الجوهر الحقيقي للمواطنة يتجلى في حقوق المشاركة السياسية التي تحدد الوضع القانوني للإنسان وتشكل وعيًا إنسانيًا (المحمداوي٢، ٢٠١٥، ص٣٠٣-٣٠٤).

يربط هابرماس بين قضية الهجرة وشرعية حقوق الإنسان، إذ يمكن دراسة التحاق أفراد جدد بمجتمع سياسي موجود عبر تحليل المشاركة السياسية المتاحة. يتمتع اللاجئون السياسيون، نظرًا لحرمانهم في مجتمعاتهم الأصلية، بتجهيزات أكثر للالتحاق بالمجتمعات الجديدة. على نطاق أقل من الضرورات، يجب منح العمال المهاجرين حقوقًا سياسية، نظرًا لتراجع الروابط مع مجتمعاتهم السياسية الأصلية بسبب عدم التوافق والتواصل؛ لذا، استقبلت بعض الدول المهاجرين ومنحتهم حق التصويت والترشح المحلي، كما حدث في السويد، والدنمارك، والنرويج،وهولندا. في نموذجه الديمقراطي، يؤكد هابرماس أن قواعد اللعبة السياسية، التي تتمثل في يد نخب سياسية تظل ترجمة لديمقراطية نخبوية (اللاوي، ٢٠١٢، ص١٨٩).

الخاتمة:

تقوم النظرية النقدية بالتأكيد أن الإيديولوجيا هي العقبة الأساسية أمام تحرير الإنسان، إذ تأثرت النظرية النقدية الحديثة بعمل العديد من مفكري مدرسة فرانكفورت، وتجاوزت أصولها النظرية في المثالية الألمانية واكتسبت البراغماتية الأمريكية واقتربت منها بشكل متزايد. وأحد المفاهيم الماركسية المتبقية في الكثير من النظرية النقدية الحديثة، هو الاهتمام بفكرة البنية التحتية والفوقية الاجتماعية، إذ تقوم النظرية النقدية لِما بعد الحداثة بإضفاء الطابع السياسي على المشكلات الاجتماعية عن طريق وضعها في السياقات التاريخية؛ وذلك لدفع نفسها في عمليات جمع البيانات وتحليلها ونسبية نتائجها، في حين تشغل النظرية النقدية الحديثة نفسها بأشكال القوة والظلم المصاحب لتطور الرأسمالية الصناعية والشركات كنظام سياسي اقتصادي، إذ كان العالِم ماكس هوركهايمر من مدرسة فرانكفورت للاشتراكية أول من حدد النظرية النقدية سنة ١٩٣٧، بأنها نظرية سياسية اجتماعية موجهة نحو النقد وتغيير المجتمع ككل، على النقيض من النظرية التقليدية التي هي موجهة فقط لفهم الدولة أو تفسيرها، إذ أراد بعضهم أن يبرز النظرية النقدية كونها شكلاً راديكالياً للنظرية الماركسية، منتقدين كلاً من النموذج العلمي الذي قامت بعرضه الوضعية المنطقية، واتخذ بعضهم الوضعية الخفية والسلطوية للماركسية والشيوعية التقليدية، إذ تعد نقدية بقدر ما تحاول تحرير الناس من الظروف التي تستعبدهم. وتتضمن النظرية النقدية بعداً معيارياً بغض النظر إذا كان نقداً للمجتمع، عن طريق عدد من نظريات القيمة أو المعايير أو نقدها لها بالقيم التي يتبناها، إذ إنّ المفاهيم الأساسية للنظرية النقدية هي على النحو الآتي: ينبغي على النظرية النقدية أن تتوجه إلى مجمل المجتمع في خصوصيته التاريخية. يجب أن تطور النظرية النقدية فهماً للمجتمع عبر دمج جميع العلوم الاجتماعية الرئيسة، بما في ذلك علم الاجتماع والتاريخ والعلوم السياسية. فضلا عن ذلك تسمح النظرية النقدية لممارسي العلاقات العامة بالتعرف على الخطط التشاركية، عن طريق فتح الباب أمام أصوات لم يسمع بها من قبل، أيضاً يتيح ذلك للمهنيين إنشاء حملات أكثر تخصصاً باستعمال المعرفة بمجالات الدراسة الأخرى، فهذا يوافر لهم القدرة على فهم وتغيير المؤسسات الاجتماعية عبر تأييدها.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر والمراجع العربية

١. أسون، بول لوران (٢٠٠٥)، مدرسة فرانكفورت، ترجمة: سعاد حرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢.

٢. برونر، ستيفن إريك (٢٠١٦)، النظرية النقدية: مقدمة قصيرة جدا، ترجمة: سارة عادل، مراجعة: مصطفى محمد فؤاد، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ط١.

٣. بناني، عز العرب لحكيم وآخرون (٢٠١٣)، يورغن هابرماس: العقلانية التواصلية في ظل الرهان الاتيقي – في نقد العلموي والديني والسياسي، تحرير وإشراف: علي عبود المحمداوي والناصر عبد اللاوي، ابن النديم للنشر والتوزيع، وهران، دار الروافد الثقافية – ناشرون، بيروت، ط١.

٤. بوزار، نورالدين (٢٠١٦)، الفلسفة والعلوم الاجتماعية عند مدرسة فرانكفورت وماكس هوكهايمر وزيتورود ادورنو، اطروحة دكتوراه في الفلسفة، نوقشت و أجيزت في جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية.

٥. بومنير، كمال (٢٠١٠)، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: من ماكس هوركهايمر إلى اكسل هونيث، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط١.

٦. الحداد، مصطفى وآخرون (٢٠١٤)، الماركسية الغربية وما بعدها: التأسيس والانعطاف والاستعادة، إشراف وتحرير: علي عبود المحمداوي، تقديم: أم الزين بن شيخة المسكيني، منشورات ضفاف، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، دار عدنان، بغداد، ط١.

٧. رشيد، علاء حميد (٢٠٢٣)، النقد الفلسفي من منظور ماكس هوركهايمر، مج(٣٠)، ع(١)، ج(١)، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، ص٢٧٢-٢٧٣.

٨. زيغمي، أحمد وآخرون (٢٠١٣)، الفلسفة الغربية المعاصرة: صناعة العقل الغربي – من مركزية الحداثة إلى التشفير المزدوج، ج١، إشراف وتحرير: علي عبود المحمداوي، تقديم: علي حرب، منشورات ضفاف، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، دار اوما، بغداد، ط١،

٩. شرقي، عبد النور وآخرون (٢٠١٢)، مدرسة فرانكفورت النقدية: جدل التحرر والتواصل والاعتراف، تحرير وإشراف: علي عبود المحمداوي وإسماعيل مهنانة، ابن النديم للنشر والتوزيع، وهران، دار الروافد الثقافية – ناشرون، بيروت، ط١.

١٠. طرابيشي، جورج (٢٠٠٦)، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، ط٣..

١١. كريم، منتظر (٢٠١٩)، تحولات الخطاب السياسي الماركسي بين جورج لوكاتش وسلافوي جيجك، دار قناديل، بغداد، ط١.

١٢. اللاوي، الناصر عبد (٢٠١٢)، الهوية والتواصلية في تفكير هابرماس، دار الرافدين، بيروت، ط١.

١٣. مجموعة مؤلفين (٢٠١١)، الموسوعة الفلسفية، إشراف م. روزنتال وب. يودين، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، ط٩.

١٤. المحمداوي، علي عبود ١ (٢٠١٥)، بقايا اللوغوس: دراسات معاصرة في تفكك المركزية العقلية الغربية، منشورات ضفاف، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، دار الأمان، الرباط، ط١.

١٥. المحمداوي، علي عبود ٢ (٢٠١٥)، الإشكالية السياسية للحداثة: من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، منشورات ضفاف، بيروت، كلمة للنشر والتوزيع، بيروت، دار عدنان، بغداد، ط١.

١٦. مهدي، عبير سهام (٢٠١٦)، الفكر السياسي لمدرسة فرانكفورت النقدية، ع(٣٠)، المجلة السياسية والدولية، ص٢١٩.

١٧. مهيبل، عمر (٢٠٠١)، من النسق إلى الذات، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط١.

١٨. هابرماس، يورغن (٢٠٠٢)، الحداثة وخطابها السياسي، ترجمة: جورج ثامر، مراجعة: جورج كتورة، دار النهار، بيروت.

١٩. هاو، الن (٢٠١٠)، النظرية النقدية: مدرسة فرانكفورت، ترجمة: ثائر ديب، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

٢٠. هوركايمر، ماكس (١٩٩٠)، النظرية التقليدية والنظرية النقدية، ترجمة: مصطفى الناوي، مراجعة: مصطفى خياطي، عيون المقالات، د.م، ط١.

٢١. هوركهايمر، ماكس (د.ت)، بدايات فلسفة التاريخ البرجوازية، دار التنوير، بيروت.

٢٢. هوركهايمر، ماكس و أدورنو، ثيودور ف. (٢٠٠٦)، جدل التنوير: شذرات فلسفية، ترجمة: جورج كتوره، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١.

ثانيًا: المصادر والمراجع الأجنبية

23. Gordon Finlayson, James (2005), Habermas a very short introduction, Oxford University press Inc, Published in the United States, New York.
24. Habermas, J (1985), The Therory of Communicative Action, V.2, Life word and System, Tran, Thomas McCarthy, Boston, U.S.A, Beacon press.
25. Habermas, Jurgen; Lennox, Sara; Lennox, Frank (1974), The Public: An Encyclopedia, No.3, New German Critique.
26. Rush (2004), The Cambridge Companion to Critical Theory, University of Notre Dame, Cambridge University press.